



لقد أرسى رمضان خيامه في ربوعنا مستضيفا تلك الأنفس السعيدة كي تنعم بفرصة فريدة للازدهار. فبعد تمتع الروح بمزايا هذا الشهر الفضيل تنال تصريح الإقامة في دولة الله العظمى التي لها موسم واحد.. موسم ربيع القرآن الذي وضعه الله المعين المستعان استجابة وتلبية لتضرعات حبيبه خير الخلق كافة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ. وما كان للقرآن الكريم.. ماء الله المعين الذي يحيي أرض الأرواح الميتة ويحقق الازدهار المنشود أن يحرك ساكننا ما لم يجد البذرة المتعطشة والمتطلعة للنمو والازدهار. فلو تمننا في آية القرآن التي لقبتم المصطفى ﷺ بالنور^(١) لوجدنا أن بذرته ﷺ قبل تلقيه مهام النبوة كانت في حد ذاتها نورا أو بعبارة أدق أصبح قلبه وجوارحه وحركاته وسكناته تجسدا لنور الله على الأرض، وبالتالي لديه القابلية والكفاءة التامة لتلقي نور الله.

هذا هو حال البذرات المباركة مع تفاوت درجاتها ومقاماتها عند الله. فبعد أن يتزل ماء السماء الروحاني على البذرة السليمة تدخل روحها إلى عالم ربا في حلية الصدق المطلق والتواضع الذائب وذلك من خلال الصلوات والتلاوة والقيام متخلية عن كل ما حولها من اللغو الثائر والفحشاء والمنكر والخوض مع الخائضين. أما البذرة التي توغل فيها السوس فإنها لا تنبت شيئا وتصبح بذرة نخرة لا يرجى منها نفع ولا خير.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف يتم تثقيف البذرات السليمة كي تصبح وعاء تلقي نور الهداية الربانية؟ لا شك أن التحلي بالصدق المطلق لدى قراءة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يفتح عالما جديدا أمام المرء خصوصا إذا كان صادرا من جذر القلب

القوة الخفية

وأعماقه. عندها سُتقبل الروح في عالم الحضرة الأحدية وتنعم بالعزة والكرامة. ولا شك أن الفاتحة أم الكتاب مفتاح أسرار القرآن وكنوزه، فطوبى لمن فهم فحوى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ واستوعب مغزاها وأبعادها حيث إنها ستكون مصدر التحول الجذري في حياتنا. هذه الجملة ذات العبارات البسيطة تحوي قوة قدسية يمكن أن تغير مصير أي فرد وشعب على حد سواء.

وحاصل الكلام.. لا صيام مع كذب اللسان. ولا صيام مع تغذية العقل والوجدان بالكذب والهديان. ولا صيام بتدنيس الأعمال بالفحش والعصيان. فالصيام يشمل صون الجوف عن تناول الكذب وعدم تقيئه أمام الناس. فالقيء ينقض الصيام. والصدق المطلق يمتن الصيام ويدخل المرء عالم الاستقامة المنشودة التي نطلبها يوميا



وما نود أن نوضحه في هذا المقام هو أن أعظم بركات هذا الشهر الفضيل وأجلها هي أنها تمنح الإنسان التعرف على تلك القوة الخفية التي يجهل أنها مكنونة ومرصوصة في كيانه. تلك القوة التي إذا حاولنا رسم معالمها بضرب مثال نقول أنه عندما يرى أحدنا أسدا مكشراً عن أنيابه بمقربة منه فإنه يهرب هروبا غير مسبوقا. هروبا لم يحم به من قبل ولم يكن يعرف أن لديه تلك القوة وتلك اللياقة البدنية.. هذا هو الحال في العالم الروحاني فإن الصيام يمنح المرء ملامسة معالم ومخاطر افتراس الموبقات والفواحش لروحه. فيفر إلى الله مهرولا هرولة الطفل عند شعوره بالخطر إلى أحضان أمه حيث يحظى بالأمن والحنان.

لقد خلق الله الإنسان ضعيفا ليكون ضعفه دافعا إلى خضوعه على عتبات خالقه، كي يلوذ بحماه ويلجأ إليه. فالضعف في الإنسان وسيلة وليس هدفاً، وسيلة لتوجيهه إلى باب خالقه، وسيلة لإقباله على الله ﷻ. لو خلق الإنسان قويا لاستغنى بقوته عن الله، فشقي باستغائه. ففي ضعف الإنسان تكمن سعادته ونجاته إذا خسر أمام خالقه. وتحديدًا يمنح هذا الشهر الفضيل فرصة ذهبية متجددة كل سنة أمامنا كي نُعرب عن ضعفنا لخالقنا كي يأتي لنجدتنا.

جعلنا الله وإياكم ممن نعمون ويستفيدون ببركات هذا الشهر الفضيل وتقبل الله صيامكم وقيامكم وأيدكم لفهم المغزى الحقيقي من الدين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

(١) النور ٣٦ (٢) هود ٥٣

**هذا هو الحال في العالم الروحاني
فإن الصيام يمنح المرء ملامسة معالم
ومخاطر افتراس الموبقات والفواحش
لروحه. فيفر إلى الله مهرولا هرولة
الطفل عند شعوره بالخطر إلى أحضان
أمه حيث يحظى بالأمن والحنان.**

في صلواتنا الخمس.

والصيام ركن متين من أركان الدين يُمهّد للإنسان تنقله عبر محطات عديدة ويهبه القوة ليقهر بها ضعفه، ويشكّل بها حياته ومستقبله. وثمة معنى أعظم وأكبر في تحقيق القوة ومع ذلك يتغافل عنه الناس، ولا يأخذ من حياتهم الحيز الذي أخذه معنى القوة الظاهرية. إنها قوة الروح التي تتغذى بالإيمان والوصال بخالقتها. ولقد امتدت رحمة الله وشفقته إلى أولئك الذين لم ينالوا حظاً في قهر ميولاتهم وأخلدوا إلى الأرض وبشّرتهم أن تعلقهم بالحضرة الأحدية يضمن لهم القوة المادية والروحية ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (١)